

فكاهات

ما الحب الا للحبيب الاول (١)

كان في انكثرا رجل من الشرفاء الاغنياء ماتت زوجته من شدة حزنها على ولد لها كان آية في النجاة والذكاء والادب فبقي عائشاً في قصره المنفرد مع ولده الاكبر واسمه روبرت . وكان هذا الشريف يقضي معظم السنة جاثلاً في املاكه الواسعة منهمكاً بمشارفة اراضيه مشتغلاً بتحرير حساباته . وكان ولده روبرت يقضي ايامه في درس الطب والهندسة على ايدي اساتذة استحضروهم اليه وعندما يملّ الدرس ويتعب فكره من مواصلة الاطلاع والبحث يعكف على الصيد والقنص وركوب الخيل ومغازلة الحسان واقامة المراقص

وكان في القرية مكتب تلغرافي قيمته فتاة تدعى أليس بديعة المحاسن رشيقة القوام تنزل عيناها سحراً حلالاً وهي ساكنة مع والدتها الشيخة تنفق عليها وعلى نفسها من راتبها الطفيف . وكانت ذات سيرة نزيهة فلا يتعرض لها فتى من الفتيان بكلمة بارزة عن ظل الادب . وكان اهل البلدة كلهم يحبونها ويحترمونها لظرفها وعفافها وفي عدادهم الفتى روبرت فانه كان كلما اتى المكتب لشراء طابع بريد او لتسليم رسالة برقية يحببها بلطف

(١) معربة عن الانكليزية بقلم خليل افندي الجاويش احد منشئي جريدة الاهرام

وبشاشة ويستلم الطابع او يسلم الرسالة ويمضي لشأنه . فالت اليه الفتاة لما رأت من ظرفه ومحاسنه وشنف قلبها بحبه فكان كلما أتى وسلها رسالة او ابتاع طابعا ولمس بنانه بنانها تشعر بان تيارا كهربائيا قد تخلل جسمها وتتغلغل في جوارحها فلا تلبث بعد ذهابه أن تجلس على كرسيتها وطرفها شاخص وقلبها خافق وفكرها سابح في لجج العواطف الحمية والوجدانات النفسانية التي لا يقدر قلم الفيلسوف على وصفها وشرح معانيها لانها من وراء هذا العالم ومن ولاية العالم الثاني

ورأى روبرت من انس الفتاة وميائها ما جرأه على محادثتها فكان بعد ذلك اذا دخل محلها قضى معها وقتا طويلا في المحادثة والمنازلة الى ان اخذ سحر عينيها من فؤاده وخابته بلطف كلامها وحسن آدابها فكان عنده من الوجد بها اكثر مما عندها من الوجد به وتمكنت العلاقة بين الصاحبين حتى لم يعد احدهما يصبر عن الآخر . وكان لا يمر به يوم حتى يزورها فيجلس اليها ويتطارحان اطراف الاحاديث الا انه لم يجترأ على ان يبوح لها بما في صدره ولا يصرح لها بما مستقبل لئلا يعطرها الى الاخلاف معها فاكتفى بالزيارة والحديث وفي نفسه ان يذكر والده في امرها حتى اذا اذن له في الاقتران بها كاشفها بما يروم

وفي ذات يوم فاتح الوالد ولده في امر الزواج فقال له يا ولدي انت ترى انني قد طعنت في السن وحان اجل مفارقتي لهذه الدنيا ولكنني احب قبل مفارقتها ان اراك متزوجا عائشا مع زوجتك بنبطة ونعيم واني قد اصبحت لك عروسا من اقاربنا هي الفتاة اليصابات التي تعرف جمالها واداب اخلاقها

وحسن تربيتها . فشعر الفتى كأن صاعقة نزلت على قمة رأسه عند ما سمع هذا الاسم من والده فشكر والده على ذلك ثم قال له لكن ليأذن لي سيدي ان اذكر له فتاة هي في المنزلة الاولى من التهذيب والادب وجمال الخلق والخلق وهي التي تعلق فؤادي بها وارجو ان لا يحرمني العيش معها ويلزمي الاقتران بمن لا اميل اليها ولا مكان لها في فؤادي . فقال له والده ومن تكون تلك الفتاة . فذكر له أليس . فلما سمع والده ذلك استشاط عليه غضباً وقال له ان شريفاً مثلك تسلسل من بيت كرامة ووجاهة وحسب رفيع لا يجوز ان يتزوج بفتاة وضيفة الاصل دنيئة النسب كتلك الفتاة التي تعد من سوقة الناس وعامة الامة فاذا عمدت الى اتخاذها زوجة لك عددتك عاصياً عقوقاً وحرمتك تركتي كلها . فلما رأى روبرت هذا الايباء من والده وكان هو مطبوعاً على طاعة والديه منذ صغره انتقاد لمشورة والده ورضي ان يتزوج بنسبته ثم عقد القران في حفلة رقصت لها جوانب البلدة اياماً

وبعد سنة توفي الوالد قرير العين ناعم البال . وباتت أليس والنار ترعى فؤادها المعنى بحب الفتى فكانت تغدو وتمسي وهي منقبضة الصدر تحسب الدنيا كلها سجنًا مظلماً والحياة عذاباً واصباً وكان يزيد لوعتها وشقاءها رسائل برقية تروح وتجيء الى قصره حاملة صنوف الاخبار والانباء ولما خلا تلغراف من توقيع روبرت فكان هذا التوقيع يفعل في فؤادها فعل النار بالحطب وكأنه لم يكفها أن حرمت حبيبها حتى تعذبها صناعاتها بقرآءة رسائله واسراره واضرام نيران التذكار في فؤادها على الدوام

وحدث بعد ثلاث سنوات من زواج روبرت أن زوجته الشريفة
الادبية على قول المرحوم والده عشقت شاباً من اهل البلدة فكان ينتهز
فرصة غياب الزوج ويتسلل الى القصر فيقضي مع عشيقته ساعات طوالاً .
وعلمت أليس بالامر فزاد كriebها واشتدت آلام نفسها وحاولت مراراً ان
تقضي بالسر الى روبرت ولكن منعها الحياء والادب فعصبت جرحها
وصممت على الكتمان . وفي مساء ذات يوم بينما كانت جالسة امام آلة
التلغراف وافكارها مشرّدة اذ قرّعت الآلة وخطت على الشريط هذه العبارة
« انا عائد في الساعة الثامنة من هذا المساء فارسلوا مركبة الى المحطة
تنقلني الى القصر روبرت »

فعند ما وقع بصر الفتاة على هذه الرسالة وكانت عالمة ان العشيق قد
اغتم الفرصة وسار الى القصر ألهمتها غيرتها على حبيبها أن تؤخر ايصال
الرسالة حتى لا يعلم بمجيئه او ان لا توصلها اصلاً فاذا وصل روبرت الى
المحطة ولم يجد فيها مركبة من مركبات القصر سار اليه ماشياً وباغت
العشيقين الاثمين فانزل بهما العقاب الذي يستحقانه وخلص من عار تلك
الخيانة ... على انها ترددت في الامر بادى بدء وتنازعها عوامل شتى من
تبكيت الضمير وخامرها خوف شديد من الاقدام على عمل ربما ذهب
بارواح ثلاثة وما زالت مترجحة بين عامل الانتقام لشرف حبيبها وعامل
الخوف عليه والتلغراف في يدها تقلبه بين اصابها حتى غلب على رأيها ان
لا ترسله فزّقتة واخفت أثره

ولما كانت الساعة الثامنة وصل روبرت ولم ير مركبة تنتظره في

المحطة فسار الى القصر ماشياً وصعد تَوّاً الى مخدع حليته فرأى العاشق جالساً اليها يقبلها وتقبله وأمامهما زجاجة من الوسكي فتناول مسدساً كان يحمله في اسفاره وهو غائب عن رشده وافرغ عياراً منه على العاشق وعياراً آخر على الزوجة الخائنة فاصاب الاول في دماغه والثانية في فؤادها المفعم خيانة وغدراً فخراً صريعين مضرجين بدمائهما. ثم اسرع الى خزانته فأخذ منها كل ما كان فيها من الجواهر والنقود والاوراق المالية ووضعها في حقيبة وعاد الى المحطة وسافر الى ليثربول وركب سفينة اميركية ذاهبة الى نيويورك وكانت على أهبة السفر فراحت تمخر العباب به وفي قلبه نارٌ احمر من نارها وفي رأسه بخارٌ اكشف من بخارها

.

وفي صباح اليوم التالي ترمى الخبر الى الحكومة فأتى رجالها الى القصر وضبطوا الواقعة وأذنوا في دفن القتيلين واستنطقوا الخدم فوجدوا شهادتهم متناصرة على اثبات الخيانة من جهة الزوجة بحفظوا اوراق تلك الشهادات لاعتبارهم أن للزوج كمال الحق في الانتقام لعرضه وشرفه بقتل العشيقين المجرمين . وقد كان روبرت يعلم ان لا اثم عليه ولا حرج فيما فعله غير انه اراد الابتعاد مدة من الزمن ريثما تُنسى الحادثة ويعفو اثرها فيعود الى وطنه ولكنه لم يكن يدري ان القدر خبأ له خطباً جديداً في سبيل حبه لأليس

وبيان ذلك انه عند ما بلغ نيويورك كتب الى حبيبته يخبرها بانه ذاهب الى بلدة بحرية باميركا الجنوبية سماها لها فاستقالت من خدمتها

ولمقت به مع والدتها واقام الثلاثة في منزل واحد وشارك روبرت احد اصحاب المناجم الذهبية فانفتح له باب ثروة جديد . وكان في البلدة المشار اليها فتى اسبانيولي جميل الصورة حسن الصوت حاذق في الضرب على القيثارة ولكن علام الغدر والمكر مرتسمة على ملامحه فتعرف روبرت وجعل يزوره في منزله ويأتي بقيثارته في غالب الليالي ويضرب عليها ويغني فتطرب الفتاة لالحن قيثارته وانعام حنجرتيه فتوهم انها تحبه شأن كل فتى مطرب الصوت يظن ان كل النساء تتعشقه لصوته ولو كان اقبح من المعيدية . ثم انه لم يكتف بهذا الوهم الباطل والاعتقاد القائل بل صار يحسب روبرت مزاحماً له في الفتاة فكان يغار منه اذا كلمها ويصفر اذا تبسم في وجهها ثم استحال هذه الغيرة حقداً وضغينة وميلاً شديداً الى الفتاك بمناظره ليتخلص منه

وفي ذات ليلة بهيجة طلع قمرها على المحيط فحول مياهه لجيناً وتبراً اتى الاسبانيولي ومعه قيثارته وجلس على الرمل واندفع يضرب ويغني واهل البيت جالسون في شرفة تطل على البحر قرب مكان الفتى وكان حبه للفتاة زاد صوته حلاوة ورقة فكان ينشد اناشيد غرامية وانامله تجيد الضرب والتلحين وعيناه لا تقارقان وجه الفتاة لحظة عين . ولما رآها غير مبالية به وان تكن ملتذة بانعامه اخذ يرمي الفتى روبرت بنظرات تشف عن الكراهية والبغضاء وحب الانتقام ثم ترك الضرب على حين بغتة وقطع انشودته ايضاً وأبدلها بانشودة حماسية حربية من اناشيد الاسبانيول الشهيرة وصار منظره مخيفاً وعيناه السوداوان تقدحان شرراً في وجه

روبرت ثم قفز كالنمر وحيًا الجماعة بصوتٍ اجشٍّ وسار في سبيله . فالتفتت
أليس الى روبرت وقالت له لقد تولد في خوفٍ شديد من هذا الرجل
واني احذرك منه يا روبرت فهو شريرٌ مخاتل وقد سبق له معي منذ ايام
حديثٌ استدلات منه على انه يبغضك من اجلي لانه لمح انني احبك ولا
احفل به فنحن في غنى عنه وعن قيثارته وصوته فضحك روبرت ساخرًا
من كلامها

وبعد بضعة اسابيع التقى روبرت بالاسبانيولي في نحو الساعة التاسعة ليلاً
فدنا منه هذا وهو يتسم وحياء تحية عدوٍ في ثياب صديق ثم قال له هلم
بنا الى منزلي في ظاهر البلدة نصرف ساعةً من الزمن اتمتع فيها بمراك
واسمعك شيئاً جديداً من ضربتي وانشادي . فطاوعه روبرت وصحبه الى
بيته الواقع وراء تلّ تشرف على البلدة وكان الليل حالكاً والهواء بارداً
ولم يكن في المنزل خادمٌ ولا خادمة كانه صومعة راهب متنسك . فانار
الاسبانيولي مصباحاً ودخل برفيقه الى غرفةٍ واسعة قليلة الاثاث وعلى احد
جدرانها ستارةٌ سوداء ودعاه الى الجلوس ثم قدم له كأساً من المرطبات
وناوله لهيفة (سيجارة) من لفائف البرازيل الغليظة وتناول قيثارته وجعل
يضرب عليها وينشد انشاداً يسكر السمع ويذهل اللب فلم يلبث روبرت
أن دار دماغه في هجمته دوران الرحي ثم انغمض عينيه ونام ولم يفق
الا بعد ساعة فرأى نفسه جالساً على مقعدٍ عالٍ لاصقٍ بالجدار الذي عليه
الستارة ويداه مكتوفتان وراء ظهره وعنقه ووسطه مشدودان الى الجدار
بسلسلة متينة ورجلاه مثبتتان في الكرسي ومختصر القول انه لا يقدر على

اتيان حركة كانه تمثال^١ او موميا ورأى الاسبانيولي جالساً امامه والقيشارة بيده وسحنته^٢ مقلوبة تخيف اسد الغاب وهو ينظر الى روبرت متبسماً تبسم الانتصار والشماتة . فصاح به روبرت ما الذي فعلته بي ايها الخائن الغادر فاجاب ان الامر بسيط وهو اني اردت الانتقام منك ومن النتاة التي احبتك دوني ولكن لما كنت اقوى مني جسماً نصبت لك هذا الشرك فاعطيتك لفيفة فيها افيون لأغيبك بها عن الادراك ثم رفعتك باحترام الى هذا الكرسي الطويل وقيدتك بسلاسل كانت مخبوءة وراء الستار . ثم رفع ستاراً آخر عن المائدة التي في وسط الغرفة تجاه « عرش » روبرت فظهر عليها مدفع صغير من النحاس الاصفر وامام المدفع مرآة من المراآئي المقعرة ثم قال لروبرت اما هذه المرآة فهي محكمة الوضع بحيث انه عند ما يأتي وقت الظهر ينصب^٣ مجموع اشعة الشمس كالسهم امام مركز المرآة فيحرق فتيلة المدفع فينطلق وانت ادرى بما يحدث اذ ذاك وان لم تكن تدري فان عندك وقتاً طويلاً تفسر فيه لنفسك هذه القضية العلمية التي سيقع حلها عليك . وهذا المنزل منفرد لا يدنو منه احد^٤ فهما صرخت واستنثت لا تجد سميعاً او منيئاً^٥ واما انا فمساقر^٦ من البلدة بعد ساعتين وسابعت قبل سفري برسالة الى السيدة أليس تصل اليها بعيده الساعة الثانية عشرة اكلتها فيها ان تأتي الى هنا لتتمتع بمراآك ...

ثم جلس الى المائدة وكتب الرسالة وروبرت ينظر اليه ولو كان مطلقاً لقطعه^٧ واطعم لحمه^٨ للكلاب . وبعد ان كتبها ووضعها في غلاف كتب عليه عنوان الفتاة اخذ قيشارته^٩ وقال لروبرت اني لا اريد ان افارقك قبل

ان اشنف سمعك بالشدوة اخرى وانشدته نغماً مفعماً بكلمات التشفي والانتقام ثم نهض مزجراً وكانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل واخذ ساعة روبرت ووضعها امام عينيه على المائدة ليعرف الرقت الذي تكون فيه منيته على هذه الصورة وودعه وخرج فجعل روبرت يشق وينتحب ويحاول الخلاص من سلاسله فلا يقدر او الترحزح من الجهة المقابلة لتوجهه المدفع فلا يستطيع وكلما مضت ساعة زاد عذابه واشتد رعبه . ولما كانت الساعة الحادية عشرة من الصباح رأى اشعة الشمس واقعة على المرأة فاقام ينتظر الموت بين لحظةٍ واخرى وبعد ربع ساعة رأى الغرفة تغلم شيئاً بعد شيء حتى اذا لم يبق الا ربع ساعة الى الظهور اشتد الظلام حتى صار كالليل فدهش وكاد عقله يطير ثم طفق يتأمل ويعمل الفكرة فتذكر ان ذاك اليوم كان موعد كسوف الشمس وايقن ان الله قد غلط ذلك الغدار في حسابه فاطمان قلبه ولم تعد الشمس الى نورها الا بعد ان مالت عن خط الظهر بكثير فحمد الله على خلاصه من تلك الميتة الشنيعة

وفي الساعة الثانية ملأ نور الشمس جوانب الغرفة وكان روبرت قد اوشك ان يجمد دمه من شدة ما عاناه من العذاب والآلام واذا بباب الحجرة قد انفتح ودخلت أليس مع والدتها فوجدته على هذه الحالة فدعت حداداً فقطع قيوده وسار الثلاثة الى المنزل يحمدون المولى على هذه النجاة العجيبة

وبعد شهر سافروا الى انكاترا واستقر روبرت في قصره واقترن بالفتاة وعاشا عيشة رغدٍ وهناء ولسان حالهما يقول « ما الحب الالحبيب الاول »